القراءة المحتملة للقرآن الكريم
في كتب معاني القرآن ـ تعريف وتوضيح ومنهج

أ.م.د حامد عبد المحسن كاظم
عقيل كاظم عايز
جامعة بابل/كلية التربية (صفي الدين الحلي)

المقدمة :

هذا بحث يتناول إحدى الظواهر اللغوية البارزة في كتب معاني القرآن وهي ظاهرة الاحتمال القرائي للنص القرآني وارتأينا أن نسميه بـ((القراءة المحتملة للقرآن الكريم في كتب معاني القرآن - تعريف وتوضيح ومنهج)) وقد قسمناه على مباحث ، كان الأول منها في التعريف بالقراءة المحتملة ، ثم المبحث الثاني في الفرق بين القراءة المحتملة والقراءة القرآنية ، ثم المبحث الثالث : هل تجوز قراءة القرآن بها ، والمبحث الرابع : لماذا كتب المعاني، والمبحث الخامس كتب معاني القرآن والمبحث السادس منهجهم في احتمال القراءة ، ثم أعقبنا ذلك بذكر روافد البحث التي أمكنتنا من تجلية البحث على صورته المرجوة . والله الموفق .

١ـ التعريف بالقراءة المُحتَمَلة:

القراءة المُحتَمَلة: هي أوجهٌ يحتَمِلُها اللفظُ القُرآني بإجازةِ العربيَّة، فاحتَملوا قراءتها سواءٌ أَقُرِئَ بها أم لم يُقرَأْ.

ووجدنا لها عِدَّةَ توصيفاتٍ عند الباحثينَ، فقد وصفَها بعضُهم بـ(المُبتَدَعَة)[١]. و(الوجوه المُحتَمَلة)[٢]، و(الافتراض القرائي)[٣].واخترنا تسميتَها بـ(القراءة المُحتَمَلة)، فَسَمَّيْناها (قراءة)؛ لأنَّ أصحابَ كُتُبِ المعاني يُنصُّونَ كثيرًا على هذه التسميةِ مُرافقةً لاحتمالِهِم الوجوهَ التي يرونَها جائزةً، فوجدنا الفرَّاءَ (ت ٢٠٧هـ) يقول: ((ولو قَرَأَ قارئٌ...))[٤]، وكذلك قولَهُ: ((لو قُرِئَ نَصْبًا كانَ صوابًا، إلاّ أنَّ القراءةَ الجيِّدةَ الرفعُ))[٥]، فهو يُسمِّي وجهَ النَّصبِ الذي أجازَهُ قراءةً، ويضعُها في مقابلِ القراءةِ المشهورةِ التي عبَّر عنها بـ(القراءة الجيِّدة)؛ لأنَّ قولَهُ (لو قُرِئَ) وأشباهَهُ يُعبِّرُ به عن القراءةِ القرآنيَّةِ، فحينما تُطلَقُ على تلك الوجوهِ فهذا يعني أنَّهُ سمَّاها قراءةً، ولو من باب المُقابلة، غير أنَّها لا تجوزُ القراءةُ بها.وألفينا ذلك عند الزجَّاج (ت ٣١١هـ) – أيضًا- في قولِهِ: ((ولا يجوزُ القراءةُ إلاّ بما قَرَأَ به القُرَّاء... لأنَّ القراءةَ سُنَّةٌ، ولا يجوزُ أن تُخالَفَ بما يجوزُ في العربيَّة))[٦]، فهو يُسمِّي الوجوهَ الجائزةَ قراءةً. فقولُهُ: ((لا يجوزُ القراءةُ إلاّ بما قرأ به القُرَّاء...)) يلزمُ منه أنَّ هناكَ قراءةً لا تجوزُ القراءةُ بها وهو يقصدُ تلكَ الأوجهَ التي أجازَها، وهي قولُهُ: ((بما يجوزُ في العربيَّة))، فهُم - إذًا- سَمَّوها قراءةً، وقيَّدوها بعباراتٍ احترازيَّةٍ تُخرِجُها عن القراءةِ القُرآنيَّة.فسمَّينا تلك الأوجهَ قراءةً اعتمادًا على تلك النُّصوصِ ونظائرِها، ومن أجلِ أن يكونَ الفرقُ واضحًا بين هذه القراءةِ، والقراءةِ القُرآنيَّة، قيَّدناها بـ(المُحتَملة)، وقد اخترنا هذا اللفظَ للدلالة على أنَّ هذه القراءةَ هي ممَّا يحتملُهُ اللفظُ القُرآنيُّ، وتحتمِلُهُ العربيَّةُ، وليست هي قراءةً قُرآنيَّةً.ونودُّ الإشارةَ هنا إلى أنَّ بعضَ الباحثين[٧] قد أشار إلى هذه الظاهرة في كتب المعاني، وذكرها الدكتور رحيم الحسناوي ضمنًا في كتابه (التشريع اللغوي في معاني القرآن للفرّاء)[٨]، وبعضُهُم قدَّمَ فيها دراسةً؛ إذ يوجَدُ فيها بحثان: الأوَّلُ رسالةُ ماجستير بعنوان (الوجوه المُحتملة في القراءات القرآنيَّة في كتاب معاني القرآن للفرَّاء) للباحث عدنان يحيى جسّام، والآخرُ بحثٌ بعنوان (ظاهرة الافتراض القِرآئي للقُرآن الكريم في ضوء الصنعةِ النحويَّة) للدكتور صالح كاظم عجيل الجبوري.

ونعتقِدُ أنَّ عنوانَ (الوجوه المُحتمَلَة في القراءات القُرآنيَّة) غيرُ دقيق؛ لأنَّهُ يُفهَمُ منهُ أنَّهُ يتناولُ الوجوهَ المُحتَملة أو الممكنة في القراءات القُرآنيَّة، والواقع أنَّهُ يتناولُ هذه الوجوهَ في ألفاظِ القُرآنِ الكريم سواءٌ أكانت

---

(١) يُنظر: القراءات القُرآنيَّة عند الزجَّاج ١٠ .

(٢) يُنظر: الوجوه المحتملة في القراءات القُرآنيَّة في كتاب معاني القرآن للفرّاء، المقدِّمة، (رسالة ماجستير).

(٣) يُنظر: ظاهرة الافتراض القرآني للقرآن الكريم في ضوء الصنعة النحويَّة، ٤٤ (بحث)، قراءات النحاة الأوائل في الميزان، مصادرها، ملامحها، موقف العلماء منها ٢٧٤ .

(٤) معاني القرآن ٢/ ١٦٦ .

(٥) المصدر نفسه ٢/ ٣٦٤ .

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ١٩٨ .

(٧) يُنظر: أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة ١٠١، القراءات القُرآنيّة في ضوء القياس اللغوي والنحوي ١٥– ١٦ (رسالة دكتوراه)، قراءات النحاة الأوائل في الميزان ٢٧٤ .

(٨) يُنظر: ١٣، ١٤، ٥٢، ٦٥ .

قُرآنًا أم قراءاتٍ قُرآنيَّة.والقراءةُ المُحتَمَلةُ ظاهرةٌ لُغَويَّةٌ يُمكِنُ للباحثِ المُدقِّقِ أن يتَلمَّسَها في كثيرٍ من مؤلَّفاتِ العُلَماءِ التي اهتمَّت بالشأنِ القُرآني من تفاسيرَ، وإعرابٍ، وقِراءاتٍ وغيرِها، ولاسيَّما كتبِ معاني القرآن. والكشفُ عنها يحتاجُ إلى قراءةٍ واعيةٍ، ونظرةٍ فاحصةٍ ومُتأنِّيةٍ للكُتُبِ التي تناولَتاها. وقد لجأَ العلماءُ إليها ليكشفوا عن الوجوهِ المُمكنة في ألفاظِ القُرآنِ الكريم، وليبسطوا أمام الناطقين بالعربية أسلوبًا آخر من أساليب النُطْق ووجوهه ممَّا لم يسمعوا أحدًا قرأ به[1]، ففي تناولِهِم للنصِّ القُرآني يذكرونَ ما ورَدَ فيه مِنْ معانٍ، وقراءاتٍ قُرآنيَّةٍ، ومسائلَ لُغَويَّةٍ، وغيرِ ذلك، ثمَّ يُحاولونَ تقليبَ ألفاظِ النصِّ القُرآني على أكثر من وجهٍ، فيُشيرونَ إلى الوجوهِ النحويَّةِ التي وردَتْ بها قراءةٌ قُرآنيَّةٌ مرويَّةٌ، أمَّا الوجوهُ المُمكنةُ في هذه الألفاظِ التي تُجيزُها العربيَّة، ولم ترِدْ بها قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، فيُجيزونَ فيها من الوجوهِ ما يُوافِقُ العربيَّةَ؛ لِبَيانِ ما يحتَمِلُهُ اللفظُ من أحكامٍ نحويَّةٍ في إشارةٍ منهم إلى أنَّ بعضَ الألفاظِ القُرآنيَّةِ لم تقتصِرْ على ما قُرِئَ به مِنْ وُجوهٍ، فيعمدونَ إلى استقصاءِ جميعِ وُجوهِ الإعراب أو بعضِها في هذه الألفاظ، فإنْ كانَ الوجهُ النحويُّ قد ورَدَتْ به قراءةٌ قُرآنيَّةٌ وجَّهوها في الغالبِ، وإن احتملَ اللفظُ وجهًا آخر، ولم يجدوا مَنْ قَرَأَ به في حدودِ اطِّلاعِهم، أجازوا فيه هذا الوجهَ من الناحيةِ النحويَّةِ، ولم يُعدُّوهُ قراءةً، فـ((ما دامَ القُرَّاء لا يقرأونَ بكُلِّ ما يجوزُ في العربيَّةِ فهذا يعني أنَّ هناكَ وجوهًا كثيرةً غيرَ مقروءٍ بها))[2]. وبهذه الطريقةِ يتَّضِحُ أنَّ الحالةَ الإعرابيَّةَ التي وردَ بها اللفظُ القُرآنيُّ، لم تَكُنْ هي الوجهُ الوحيدُ في هذا اللفظ، وإنَّما قد يكونُ اللفظُ مُحتَمِلاً أكثرَ من وجهٍ غير الذي وردَ به في النصِّ القُرآني أو القِرائي.

ومِنَ المعلومِ أنَّ الأسلوبَ القُرآني، والألفاظَ القُرآنيَّةَ جاءا على المُستوى الأمثل في العربيَّةِ. فالقُرآنُ توخَّى أفصحَ الوجوه، وأجزلَ الألفاظِ، وأمتنَ الأساليب، وأكثرَها دِقَّةً، وتعبيرًا عن المعنى المُراد، فقد يأتي اللفظُ مرفوعًا؛ لأنَّ الرفعَ أليقُ بالمقام، غيرَ أنَّ هذا قد لا يكونُ كلَّ شيءٍ في اللفظ، فربَّما يحتَمِلُ وجهًا آخرَ وعَدَلَ عنه القُرآنُ إلى الوجهِ الذي وردَ به؛ لانسجامِهِ مع السياق، أو لبيانِ معنًى دقيقٍ، أو لغايةٍ أخرى قد لا يؤدِّيها الوجهُ الآخر، لا لأنَّ الوجهَ الآخَرَ مُمتَنِعٌ، وإنَّما قد يكونُ الوجهُ الأوَّلُ أدَلَّ على المقصود كما قدَّمنا، ولاشكَّ في أنَّ هذا ليسَ في كلِّ ألفاظِ القُرآنِ الكريم، بل في الألفاظِ التي تحتَمِلُ أكثرَ من وجه.وقد أدركَ العلماءُ ببصرهم الثاقبِ هذه المسألةَ، فوقفوا عند هذه الألفاظِ؛ لبيانِ ما يجوزُ فيها مِنْ قِراءاتٍ مُحتَمَلَةٍ في حُدودِ ما تُجيزُهُ العربيَّة.فمِنْ ذلك قولُهُ تعالى:

(﴿ ﴾ [فُصِّلت ٣]. فلفظُ (﴿ ﴾) هنا منصوبٌ على الحال أو القطع. وعندما تناول الكسائي (ت ١٨٩ هـ) هذه الآيةَ نراهُ يُجيزُ فيه وجهًا آخرَ. فيقول: ((ويجوزُ (قُرآنٌ عربيٌّ) يجعلانِهِ نعتًا لكتاب))[3]، وبه قال الفرَّاء[4] – أيضًا-، فالنَّصبُ هو قراءةُ المُصحَفِ المشهورة، أمَّا الرفعُ الذي أجازَهُ الكسائي فهو وجهٌ يحتَمِلُهُ اللفظُ من الناحية النحويَّة. ولم تَرِد به قراءةٌ قُرآنيَّة.ونُلاحِظُ الكسائي هُنا لم يترُكْ الوجهَ المُحتَملَ الذي ذهبَ إليه من دون توجيهٍ، إذ وجَّهَ الرفعَ في (قُرآنٌ عربيٌّ) على أنَّهما نعْتٌ لـ(كتاب) وكأنَّهُ يشعُرُ بسؤالِ القارئ أو السامع عن وجهِ الرفع الذي لم تَرِدْ به قراءة.ونجِدُ مثلَ هذا في قولِهِ تعالى: (﴿ ﴾ [سبأ ٣].فلفظُ (عالم) قُرِئَ[5] بالجرِّ والرفع، غيرَ أنَّنا نجِدُ الزجَّاجَ قد أجازَ فيه وجهًا ثالثًا، وهو النَّصْبُ، بعدَ أن ذَكَرَ القراءةَ بالجرِّ والرفع، فقال: ((بالخفضِ في عالم... ويُقرَأُ بالرفع... ويجوزُ النَّصْبُ ولم يُقرَأْ به على معنى اذكرْ عالمَ الغيب))[6]، فالجرُّ والرفعُ وجهانِ ورَدَ بهما أثرٌ، أمَّا النَّصْبُ فهو وجهٌ يحتَمِلُهُ اللفظُ ولم تَرِدْ به قراءةٌ قُرآنيَّة.فإذا نظَرْنا إلى هذه المُفرَدةِ القُرآنيَّةِ من ناحيةِ الصَّنعةِ النحويَّة، نجِدُ أنَّها تحتَمِلُ النَّصْبَ الذي خرَّجَهُ الزجَّاجُ على أنَّهُ مفعولٌ به لِفعلٍ محذوف.

فالنَّصْبُ بِلِحاظِ القراءةِ القُرآنيَّةِ لم تَرِدْ به قراءة، ولكنَّهُ في ضوءِ ما قعَّدَهُ النحويُّونَ من قواعدَ نحويَّةٍ استنبطوها؛ نتيجةَ استقرائهم للقُرآن الكريم وقراءاتِهِ، وكلامِ العرب، نجِدُ ما يُسوِّغُهُ في هذه القواعد، وهذا ما كشفَ عنه الزجَّاج في هذه المفردةِ القُرآنيَّة، وهو مُلتَفِتٌ إلى أنَّهُ وجهٌ مُحتَمَلٌ وليس قراءةً قُرآنيَّةً، وهذا ما نلحظُهُ

---

(1) يُنظر: التشريع اللغوي في معاني القرآن للفراء ١٤ .

(2) مواقف النحاة من القراءاتِ القُرآنيَّة حتَّى نهاية القرن الرابع الهجري: ١٨٤ .

(3) معاني القُرآن ٢٢٤ .

(4) يُنظر: معاني القُرآن ٣/ ١٢ .

(5) يُنظر: السبعة في القراءات ٥٢٦ .

(6) معاني القُرآن وإعرابه ٤/ ٢٤٠ .

بقوله: (ولم يُقْرَأْ به).والرفعُ في (قُرآنٌ عربيٌّ) والنَّصبُ في (عالم)، وأشباهِ هذه الأوجه، هو ما سمَّيناه (القراءة المُحتَمَلة) فهي تسميةٌ لهذه الأوجهِ التي أجازَها العُلماء في ألفاظِ القُرآنِ الكريم.وممَّا تجدُرُ الإشارةُ إليه أنَّ هذهِ القراءاتِ المُحتملَةَ التي يُجيزونَها في الألفاظِ القُرآنيَّة، ليستْ كلُّها وجوهًا لم تَرِدْ بها قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، بل إنَّ مُعظمَ ما أجازوهُ من هذه الأوجهِ هو في الحقيقة قراءاتٌ قُرآنيَّةٌ مرويَّةٌ، ذُكِرَتْ في كُتُبِ القراءاتِ وغيرِها.ولكنَّ هؤلاءِ العُلماءَ حينما ذهبوا إلى جوازِ هذه الأوجهِ أوردوها على أنَّها ممَّا تُجيزُهُ العربيَّة، ولم يكُنْ لهم عِلمٌ مُسبَقٌ بأنَّها قراءاتٌ قُرآنيَّةٌ، وإنْ كانت في الواقعِ كذلك، فهي في نظرِهِم وجوهٌ مُمكِنَةٌ في النحو. وهُمْ يُفرِّقونَ بينها وبين القراءةِ القرآنيَّةِ جيِّدًا، ولو عَلِموا أنَّها قِراءاتٌ قُرآنيَّةٌ لَما احتَملوا فيها تلك الأوجهَ، وهذا واضحٌ من عباراتهم الاحترازيَّة في التنبيهِ على أنَّها ليست قراءةً قُرآنيَّة في حُدودِ ما يعلمونَهُ من القراءاتِ القُرآنيَّة.ولكنَّهم توصَّلوا إلى هذا؛ لِسلامةِ فِطرتهم اللغويَّة، ومعرفتهم وبَصرِهِم بالعربيَّة، وأسرارِها، وأساليبِها، ونتيجةً لإعمالِ فكرِهم في النصوص القرآنيَّة؛ لاستجلاءِ غوامضها، وفكِّ ما استغلقَ منها، والذهابِ إلى ما وراءِ النصِّ الظاهر، والغوص وراءَ المعاني الدقيقة، وتمحيص النصوص.وقد كانت البذرةُ الأولى لهذه الظاهرة عند سيبويه (ت ١٨٠هـ)، ولكنَّها اهتزَّت وربَتْ على يدِ الفرَّاء الذي أكثرَ منها وأقامَ عليها شواهدَ كثيرةً من القرآن ولغة العرب[١]، فهي بصريَّةُ الوجود، كوفيَّةُ النضوج.وبعد ذلك نقول : إذا كانت القراءات القُرآنيَّة لها أثرٌ في نشوءِ الاحتمالاتِ النحويَّةِ، وأدَّت إلى إيجاد وجوهٍ نحويَّةٍ إلى جانبِ الوجهِ المُتبادرِ من الآية[٢]، فكذلك القراءاتُ المُحتملةُ، فإنَّها أوجدت وجوهًا جديدةً غيرَ وجوه القرآن، والقراءاتِ القرآنيَّة.

٢- الفرق بين القراءة المُحتملة والقراءة القُرآنيَّة.

إنَّ القراءةَ المُحتَمَلةَ هي ليست القراءةَ القُرآنيَّةَ المعروفة. ويكفي لِمعرفةِ هذا أنْ ننظُرَ في تعريفات القراءةِ القُرآنيَّة، إذ أوردَ العُلماءُ أكثرَ من تعريفٍ لها، نكتفي منها بتعريفين.عرَّفها الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بأنَّها: ((اختلافُ ألفاظِ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها: مِنْ تَخفيفٍ وتثقيلٍ وغيرِهما))[٣].وعرَّفها ابنُ الجَزَري (ت ٨٣٣هـ) بأنَّها: ((عِلمٌ بكيفيَّةِ أداء كلماتِ القُرآنِ، واختلافِها معزُوًّا لناقلِهِ))[٤].وفي ضوء تعريف العلماء للقراءة القُرآنيَّة، خلَصَ الدكتور عبد الهادي الفضلي[٥] إلى أنَّ القِراءةَ هي النُّطْقُ بألفاظِ القُرآنِ الكريم كما نَطَقَها النبيُّ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ)، أو كما نُطِقَتْ أمامَهُ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) فأقَرَّها، سواءٌ أكانَ اللفظُ منقولاً عن النبيِّ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ) بالفعلِ أم بالتقريرِ واحدًا أو مُتَعدِّدًا.وقد وضعَ العلماءُ ضوابطَ خاصَّةً، وأركانًا مُحدَّدةً للقراءةِ القُرآنيَّةِ. وفي ذلك يقولُ ابنُ الجَزَري: ((كُلُّ قِراءةٍ وافقت العربيَّة ولو بوجهٍ ووافقت أحدَ المصاحفِ العُثمانيَّة ولو احتمالاً وصحَّ سَنَدُها فهي القِراءةُ الصحيحة))[٦].فابنُ الجَزَري يُوردُ ثلاثةَ أركانٍ للقِراءةِ القُرآنيَّة الصحيحة هي[٧]:

الأوَّل: هو موافقتُها لوجهٍ من وُجوهِ العربيَّة سواءٌ أكانَ هذا الوجهُ يمثِّلُ الأفصحَ في اللغةِ أم مُختلفًا فيه اختلافًا لا يضُرُّ مثله مع قوَّته.

الثاني: أنْ تُوافقَ رسمَ أحدِ المصاحفِ العُثمانيَّة ولو احتمالاً.

الثالث: أنْ يَصُحَّ سندُها بأَنْ يرويها عَدْلٌ ضابطٌ عن مثلِهِ من بدايةِ السَّنَدِ إلى آخرِهِ حتَّى ينتهي إلى النبيِّ (صلَّى اللهُ عليه وآلهِ)، من غيرِ شُذوذٍ ولا عِلَّةٍ قادِحة، وتكونُ مشهورةً عند الأئمَّة في هذا الشأن.

فإذا سَقَطَ رُكنٌ من هذه الأركان أُطْلِقَ على القراءة بأنَّها ضعيفةٌ، أو شاذَّةٌ، أو باطلةٌ. حتَّى لو كانت قراءةً سبعيَّةً، أو أكبرَ منها، وهذا هو الصحيحُ عند أئمَّة التحقيق من السلف والخلف[٨].

---

(١) يُنظر: الكتاب ٢/ ٦٣، ٦٤، و٣/ ١٢٧، ١٣٣، ومعاني القرآن ١/ ١٠١، ١٥٣، ٢١٣، و٢/ ١٩، ١١٣، ظاهرة الافتراض القرائي للقرآن الكريم في ضوء الصنعة النحوية ٤٦ .

(٢) يُنظر: دواعي احتماليَّة الدلالة النحويَّة في القرآن الكريم ٢١٩ (رسالة دكتوراه) .

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٢٣ .

(٤) منجد المُقرئين ومرشد الطالبين ٤٩ .

(٥) يُنظر: تاريخ القراءات القُرآنيَّة ٥٦، الشيخ البلاغي والقراءات القُرآنيَّة ٣٦ (بحث) .

(٦) النشر في القراءات العشر ١/ ٩ .

(٧) يُنظر: الكافي في القراءات السبع، مقدمة المحقق ١٠- ١١ .

(٨) يُنظر: النشر ١/ ٩ .

أمَّا ما نحنُ بِصَدَدِهِ وهو القراءةُ المُحتَملَةُ، فلا ينطبِقُ عليها تعريفُ القراءةِ القُرآنيَّة، ولا يُشتَرطُ فيها هذه الأركانُ الثلاثة مُجتمِعَةً، بل هي أوجهٌ تُجيزُها العربيَّة، ولم تَرِدْ بها قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، فهي موافقةٌ للعربيَّة، فشرطُها الوحيد أنْ تُطابِقَ وجهًا من وجوه العربيَّة.

٣- هل تجوزُ قراءةُ القُرآن بها ؟

أكَّدَ العلماءُ على أنَّ هذه الأوجهَ التي تجوزُ في النَّحو، ولم تَرِدْ بها قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، لا تجوزُ القراءةُ بها، وشدَّدوا على هذا الأمر.فأصحابُ كُتُبِ المعاني الذين أكثروا من إيرادِ هذه الظاهرة، حذَّروا من القراءةِ بها، وأنَّها لا تجوزُ إلاّ أنْ تثبُتَ بها روايةٌ صحيحة.فالفرَّاءُ حينما ذَهَبَ إلى جوازِ بعضِ الأوجهِ يرى أنَّ هذا الجوازَ يبقى في حُدودِ ما تُجيزُهُ العربيَّة، ولا تجوزُ القراءةُ به، وقد أعربَ عن هذا بقولِهِ: ((والقُرَّاءُ لا تقرأُ بكُلِّ ما يجوزُ في العربيَّةِ، فلا يقبحنَّ عندكَ تشنيعُ مُشنِّعٍ ممَّا لم يقرأهُ القُرَّاءُ ممَّا يجوز))[١].وهذا ما ذكرهُ الزجَّاجُ في مواضعَ كثيرةٍ من معانيه، وعدَّ القراءةَ بها بدعةً، وقد ذكرَ هذا بعبارةٍ واضحةٍ لم تدعْ بعدها شكًّا لأحَدٍ في عدمِ جوازِ القراءةِ بهذه الأوجه، وقد صرَّحَ بهذا عند تناولِهِ قولَهُ تعالى: (❒♦✍◆❒✒🕮☼❁❁✍⓪🕒🖂♋🖎❁) [الروم ٥٣]، وقد أجازَ النَّصبَ في لفظةِ (العُمْي) إذ قال: ((القراءةُ بالجرِّ في (العمي) والنَّصْبُ جائزٌ، بهادٍ العُمْيَ عن ضلالتِهم. فالقراءةُ بالجرِّ، فأمَّا النَّصْبُ فإنْ كانت فيها روايةٌ، وإلاّ فليست القراءةُ بها جائزةً، لأنَّ كلَّ ما يُقرَأُ به ولم تتقدَّمْ فيه روايةٌ لِقُرَّاءِ الأمصار المُتقدِّمين فالقِراءةُ به بدعةٌ وإن جازَ في العربيَّة، والعملُ في القراءةِ كلِّها على اتِّباعِ السُنَّة))[٢].

وهي عبارةٌ مُحكَمةٌ في الدلالة على عدمِ جوازِ قراءةِ القُرآن بالقراءةِ المُحتَملة. ويذهبُ الزجَّاجُ إلى أبعدِ من هذا فينسِبُ المنعَ إلى من سبَقَهُ من مشايخِهِ فيقول: ((قال مشايخُنا من أهلِ العلم: القراءةُ سُنَّةٌ مُتَّبعة، ولا يرونَ أن يَقرَأَ أحدٌ بما يجوزُ في العربيَّة إذا لم تثبُتْ روايةٌ صحيحة))[٣].ومسألةُ المنعِ هذه ليست مقتصرةً على أصحابِ كُتُبِ المعاني، بل المنعُ من القراءةِ بها مشهورٌ عند العلماء، فابنُ الجَزَري عدَّ القراءةَ بها من الكبائر، فحينما عدَّدَ أقسامَ القراءاتِ القُرآنيَّة ذكرَ المنعَ قائلاً: ((وبقِيَ قِسمٌ مردودٌ أيضًا وهو ما وافقَ العربيَّةَ والرسمَ ولم يُنقَلِ البتَّة فهذا ردُّهُ أحَقُّ ومنعُهُ أشدُّ ومُرتَكبُهُ مُرتكِبٌ لعظيمٍ من الكبائر))[٤].ولم تمُرَّ هذه المسألةُ من دون مُخالفةٍ من بعضِ القُرّاء، فقد ذكرَ ابنُ الجَزَري أنَّ ابنَ مُقسِم (ت ٣٥٤هـ) أجازَ أنْ يُقرَأَ بما يجوزُ في العربيَّة، ونقلَ هذا عن أبي طاهر (ت ٣٤٩هـ) أنَّهُ قال: ((وقد نبغ نابغٌ في عصرنا فَزَعمَ أنَّ كُلَّ مَن صحَّ عنده وجهٌ في العربية بحرفٍ من القرآن يوافقُ المصحفَ فقراءتُهُ جائزةٌ في الصلاة وغيرِها فابتدَعَ بدعةً ضلَّ بها عن قصدِ السَّبيل))[٥].ولعظمِ هذه هذه المسألة عند العلماء عُقِدَ لابن مقسم مجلسٌ ببغدادَ حضَرَهُ العلماء وأجمعوا على منعِهِ، وأوقفوهُ للضربِ، ورجعَ عن ذلك[٦].

٤-لماذا كُتُبُ المعاني؟

لقد وقعَ اختيارنا على دراسة هذه الظاهرة في تلك الكُتُب – على الرغمِ من وجودِها في كُتُبٍ أُخَر-؛ لأنَّها من أوائلِ الكُتُبِ التي توافرت على هذه الظاهرةَ، ولأنَّها أكثرت منها، واهتمَّتْ بها، وأقامت عليها شواهدَ من القُرآن ولُغَةِ العرب، حتَّى أصبحت ظاهرةً معروفةً في تلكَ الكتب.وكذلكَ لأهميَّةِ هذه الكُتُبِ التاريخيَّة، والعلميَّة؛ فهي تُمثِّلُ بداياتِ التأليفِ في الشأنِ القُرآني.وهي تمتلِكُ منزلةً علميَّةً كبيرةً؛ لما تضمَّنَتْهُ من المسائلِ المختلفةِ فيما يتعلَّقُ بلغة القُرآن، كالنحو، والصوتِ، والصرفِ، والدلالةِ، ولُغاتِ القبائل، والقراءاتِ القُرآنيَّةِ، وغيرِ ذلك.ومعظمُ أصحابِ هذه الكُتُبِ نحويُّونَ ولُغويُّونَ كبارٌ لهُمْ آراؤُهُمُ التي يَعتَدُّ بها العُلماءُ، وهُم من أقطابِ المدرستينِ البصريَّةِ والكوفيَّة.

٥- كتب معاني القرآن.

لاشكَّ في أنَّ لهذه الكُتب وأصحابِها شُهْرَةً واسعةً، ومكانةً عِلميَّةً كبيرةً تجلَّتْ في إقبالِ العُلماءِ والباحثين عليها قديمًا وحديثًا، وهذا ما كشفتْ عنه الدراسات الحديثة التي تناولت أثرَ هذه الكُتُبِ في المؤلَّفاتِ التي جاءت

---

(١) معاني القُرآن ١/ ٢٤٥،وينظر : ١/ ٣٢٧، ٣٤٧، ٢/ ٣٥ .

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٩١ .

(٣) المصدر نفسه ٥/ ٩١ .

(٤) النشر ١/ ١٧ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٧ .

(٦) يُنظر: المصدر نفسه .

بعدها، فقد كتبَ غيرُ واحدٍ من الباحثينَ في هذا المجال[١]، ولهذا سنتكلّم عليها بنَحْوٍ مُوجَزٍ.ونوَدُّ أنْ ننوِّهَ هُنا بأنَّ ظاهرَ عنوان البحثِ يُشيرُ إلى أنَّنا سنتناولُ كُتُبَ معاني القُرآنِ كلَّها، ولكن لِصُعوبةِ الإحاطة بهذا النوعِ من التأليف القُرآني، وجمعِ هذه الكتب، فقد اقتَصَرْنا على خمسةِ كُتُبٍ منها، وهي الأشهرُ من كُتُبِ المعاني، وهذه الكُتُبُ هي معاني القُرآن للكسائي، ومعاني القُرآنِ للفرَّاءِ، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القُرآن وإعرابه للزجَّاج، ومعاني القرآن الكريم للنحَّاس.وتُعَدُّ هذه الكُتُبُ من أوائلِ المؤلَّفاتِ التي تناولتِ النصَّ القُرآنيَّ، وكان هذا النوعُ من التأليفِ يُعنى به ما يشكُلُ في القُرآنِ ويحتاجُ فهمُهُ إلى بعضِ العناء[٢].فقد اعتَنَتْ ببيانِ معاني القُرآنِ الكريم، وبيانِ المُشكلاتِ اللغويَّة والنحويَّة والصرفيَّة فيها، وشرحِ ما غمُضَ من ألفاظِها وغريبِ مفرداتِها، وإزالةِ اللبسِ عن الآياتِ التي يُظَنُّ أنَّ بينها تعارُضًا، فهي على هذا آخِذةٌ من اللغةِ بِطَرَفٍ، ومن التفسيرِ وبيان الأحكام بِطَرَفٍ. والمُلاحَظُ على هذه الكتب أنَّها لا تتناولُ آياتِ القرآن كلَّها، بل تأخُذُ بمبدأِ الانتخاب فيما تريدُ أن تبحثَ فيه موضوعًا أو مسألةً. وهذه هي الخصيصةُ التي تميِّزُها عن كتب التفسير التي تستقصي الآياتِ القُرآنيَّةَ بيانًا وشرحًا[٣].أمَّا تناولُها للسور القُرآنيَّةِ فإنَّها تراعي فيه تسلسُلَ السورِ إلاّ نادرًا، فتبدأُ بالحمد، ثمَّ البقرة، وهلُمَّ جرًّا. وتَنْتَخِبُ من كُلِّ سورةٍ ما تراهُ بحاجةٍ إلى بيانٍ من الآيات.وقد يذكرُ أصحابُها أسبابَ النزولِ، والأحكام الفقهيَّة، والروايات، والناسخِ والمنسوخ، والقراءات القُرآنيَّة، والأحاديث الشريفة، وغير ذلك. فهي تدرُسُ النصَّ القُرآنيَّ من جميعِ جوانبهِ؛ لإبرازِ المعاني، ولتأصيلِ القواعدِ النحويَّة، وتثبيت دعائمها[٤]. وتُعَدُّ ((لونًا مُتميِّزًا هيَّأَ لنشأةِ التفسيرِ الفنِّي، ويُمثِّلُ المرحلةَ الأولى من مراحل النحو وكتب التفسير التي انبَنَتْ عليها جميعُ المراحل اللاحقة))[٥]، فهي -إذن- نوعٌ من كتب التفسير يستَقِلُّ بخصائص مُعيَّنة[٦].وإذا كانَ أصحابُ كتب المعاني كلُّهم كلُّهم نحويِّين إلاّ القليلَ منهم[٧]، فمن البدهي أن يأخُذَ الجانبَ اللغوي حيِّزًا كبيرًا منها، حتَّى عدَّها بعضُ الباحثين[٨]. كأنَّها أصولُ النحوِ في القُرآن، فهي تدرُسُ النصَّ القُرآنيَّ بأسلوبِ النحاةِ الأدباء[٩]، ولذلك نجِدُ أصحابَ المعاني قد ضمَّنوا كُتُبَهم الكثيرَ من آرائهم النحويَّةِ في أثناءِ تعليقاتِهم على الآياتِ القُرآنيَّة، فضلاً على آراء المدرسةِ النحويَّةِ التي ينتمي إليها كُلٌّ مِنهُم، فالفرَّاءُ ضمَّنَ كتابَهُ (معاني القُرآن) كثيرًا من ملامحِ الدرسِ الكوفي في بداياتِ نشأتِهِ.

٦- منهجُهم في احتمال القراءة.

لمُتَتبِّعُ كُتُبَ المعاني يجِدُ ملامحَ واضحةً للمنهج الذي اتَّبعوهُ في احتمال القراءة، يُمكِنُ تجليتُهُ بما يأتي:

١- لأصحابِ كُتُبِ المعاني طرائقُ وعباراتٌ مُتشابهةٌ في احتمال القراءة، وهي عباراتٌ غالبًا ما تكونُ واضحةً في الدلالة على أنَّ ما يُجيزونَهُ من أوجهٍ لايقصِدونَ به القراءةَ القُرآنيَّةَ المرويَّةَ، فإنَّهم يتَّفقونَ في كثيرٍ من العبارات التي يُفهَمُ منها أنَّ هذا الوجهَ هو قراءةٌ مُحتَمَلة.ومن عباراتِهم هذه قولُهم: لو قيلَ كذا كان صوابًا[١٠]، ولو قرأَ قارئٌ[١١]...، ويجوزُ كذا[١]، وإنْ شئتَ[٢]...، ولو قُرِئَ أو قُرِئَت[٣]... ولو كان كذا لجازَ[٤]، ومن نصبَ[٥]...،

---

(١) من هذه الدراسات يُنظر: أثر معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج في الكشاف للزمخشري– رسالة دكتوراه، أثر معاني القُرآن للأخفش الأوسط في الكشاف للزمخشري دراسة نحويَّة – رسالة ماجستير، أثر معاني القُرآن للفراء ومعاني القُرآن وإعرابه للزجّاج في إعراب القرآن للنحّاس – رسالة دكتوراه.

(٢) يُنظر: معاني القرآن للفراء، المقدمة ١١ .

(٣) يُنظر: الدراسات اللغوية عند العرب حتّى نهاية القرن الثالث ١٠٣ .

(٤) يُنظر: النحو وكتب التفسير ١/ ١٤٧ .

(٥) المصدر نفسه ١/ ١٤٩ .

(٦) يُنظر: المصدر نفسه ١/ ١٤٨ .

(٧) يُنظر: المصدر نفسه ١/ ١١٢ .

(٨) يُنظر: معاني القرآن للأخفش، المُقدِّمة ٢٥ .

(٩) يُنظر: النحو وكتب التفسير ١/ ١٤٢ .

(١٠) يُنظر: معاني القرآن للكسائي ١٧٨، معاني القرآن للفراء ١/ ٧٠، ٨٣، ١٠١، ١٥٣، ١٥٤، ٢٢١، معاني القرآن للأخفش ١/ ١٨٥ .

(١١) يُنظر: معاني القُرآن للفراء ٢/ ١٦٦ .

نصبَ[٥]...، وقد يجوزُ[٦]...، ولو نُصِب... لجاز[٧]، ولو كان في غير القُرآن[٨]، ولو كانَ... لكان[٩]، ولو قيلَ... لجازَ[١٠].

٢- إنَّهم يُشيرونَ إلى أنَّ هذا ليسَ قراءةً قُرآنيَّةً بعباراتٍ احترازيَّة حِرصًا منهم على تنبيه القارئ بأنَّ هذه الأوجهَ لا تجوزُ القراءةُ بها، ومن ذلك قولُ الفرَّاء: ((والقُرَّاءُ لا تقرأُ بكُلِّ ما يجوزُ في العربيَّة))[١١]، ويقول الزجَّاج: ((ولكنَّ المُصحَفَ لا يُخالَفُ بقراءةٍ لا تُروى))[١٢]. وقد بيَّنا ذلك سابقًا.

٣- رُبَّما يحتملونَ الوجهَ ولا يذكرونَ عبارةً تَدلُّ على أنَّه وجهٌ مُحتَمَلٌ، غيرَ أنَّ الذي يكشِفُ عن هذا أنَّ كُتُبَ القراءاتِ وغيرَها، لم تذكُرْ قراءةً قُرآنيَّةً بهذا الوجه، ومن أمثلةِ هذا ما أجازهُ الزجَّاج[١٣] في الفعلِ (نُمكِّنُ) في قولِهِ تعالى: (﴿ ﴾) [القصص ٦]، حيث أجازَ فيه الرفعَ بلفظِ (يجوز) ولم يذكر ما يُبيِّنُ أنَّهُ وجهٌ مُحتملٌ، ولكن حينَ تتبَّعنا هذا الوجهَ في كُتبِ الفنِّ، لم نجدْ من ذكرَ أنَّهُ قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، ما يدُلُّ على أنَّهُ قراءةٌ مُحتملة.

٤- إنَّهم حينما يحتملونَ وجهًا نحويًّا يُتْبِعونَهُ بعبارة ((ولم أسمعْ أحدًا قرأ به))[١٤]، أو ((ولا أعلمُ أحدًا قرأ به))[١٥]، أو ((لا أحفظُ من قرأ به))[١٦]، أو عبارةٍ قريبةٍ من هذه العباراتِ؛ لاحتمالِ أن يكونَ هذا الوجهُ قراءةً قُرآنيَّةً، وهو لا يعلم بها، فيُنبِّهونَ على هذا بهذه العبارات.

٥- قد يذكرونَ بعد الاحتمال أنَّ هذا الوجهَ لم يُقرَأْ به، وقد تبيَّنَ لنا فيما بعد أنَّهُ قراءةٌ قُرآنيَّةٌ. ففي قوله تعالى: (﴿ ﴾) [الذاريات ١٣] أجاز الفرَّاءُ الرفعَ في (يوم)، ثمَّ قال: ((ولم يقرأْ به أحدٌ من القُرَّاء))[١٧]، والحقيقةُ أنَّ الرفعَ هو قراءةٌ قُرآنيَّة نسبها ابنُ خالويه (ت ٣٧٠هـ) إلى إبراهيم بن أبي عبلة (ت ١٥١هـ)[١٨].

وهو ما فعله الأخفشُ (ت ٢١٥هـ) – أيضًا- فقد أجازَ الرفعَ في (جنَّات) في قوله تعالى: (﴿ ﴾)

---

(١) يُنظر: معاني القُرآن للكسائي ١٥٨، ١٩٤، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٩٤، ٣١٩، ٣٨٢، ٣/ ٣٨٣، معاني القرآن الكريم للنحّاس ٦/ ٤٢٣ .

(٢) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ١٦٩، ٢/ ٥٥٩، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٨٤، ٤٢٨ .

(٣) يُنظر: معاني القُرآن للفراء ١/ ٤٤٤، ٢/ ٣٦٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ١٤١– ١٤٢، ١٤٦، ٥/ ١٣٥، ٢٩٨ .

(٤) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٦٧، معاني القرآن وإعرابه ٢/ ١٤٧، ٤٧١، ٤/ ٣٢٦، ٥/ ٥٣ .

(٥) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٦٢ .

(٦) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٧٥ .

(٧) يُنظر: معاني القرآن للفراء ١/ ١٢٠، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٦٨ .

(٨) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٥٣ .

(٩) يُنظر: معاني القرآن للأخفش ١/ ٥٤، معاني القرآن وإعرابه١/ ٢٥١، معاني القرآن للنحّاس٥/ ٤٤٢.

(١٠) يُنظر: معاني القرآن للكسائي ١٧٧ .

(١١) معاني القرآن ١/ ٢٤٥ .

(١٢) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٩٤، ٤/ ١٣٤، ٤٠٤، ٤٤٨ .

(١٣) يُنظر: المصدر نفسه ٤/ ١٣٢ .

(١٤) معاني القرآن للفراء ٢/ ١١٧، ٢١٤، ٣٣٨ .

(١٥) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٨٨، ٤/ ٢٩٨، ٤٠٤ .

(١٦) المصدر نفسه ١/ ١٠٤ .

(١٧) معاني القُرآن ٣/ ٨٣، ١٦٨ .

(١٨) يُنظر: مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع ١٤٦ .

(ولم يقرأْهُ أحدٌ بالرفع)) [ص ٥٠]، ثمَّ علَّقَ على الرفع قائلاً: ((ولم يقرأْهُ أحدٌ بالرفع))[١]، ولكنَّ الرفعَ قراءةٌ قُرآنيَّةٌ مرويَّة[٢].

٦- ومن منهجِهم أنَّهم قد يحتملونَ أكثرَ من وجهٍ في اللفظِ الواحد، فقد أجازَ الزجَّاجُ[٣] الجرَّ والرفعَ في لفظة (القُرآن) في قوله تعالى: (

) [يوسف ٣]. وأجازَ النحَّاسُ (ت ٣٣٨هـ)[٤] النَّصْبَ والرفعَ في لفظة (ربِّ) في قوله تعالى: (

) [الصافات ١٨٢].

٧- ومن منهجِهم أنَّهم في أكثرِ الاحتمالات يُوجِّهونَ ما يذهبونَ إليه من وجوهٍ. ومثالُ ذلك ما نجِدُهُ عند الأخفش[٥]، الأخفش[٥]، فحينَ أجازَ الرفعَ في لفظة (الجن) في قوله تعالى: (

) [الأنعام ١٠٠] وجَّه الرفعَ بأنَّهُ خبرٌ لمُبتدأٍ محذوفٍ. والتقديرُ: (هم الجنُّ). وفي أحيان قليلة لا يُوجِّهونَ ما يحتملونه[٦].

٨- قد يحتملُ أحدُهم وجهًا في آيةٍ ما، ويُجيزُ الآخرُ الوجهَ نفسَهُ في نظيرٍ قُرآني، فالفرَّاءُ[٧] أجازَ النَّصْبَ في (صمٌّ بكمٌّ عُميٌ) قوله تعالى: (

) [البقرة ١٧١]. وأجاز الزجَّاجُ[٨] النَّصبَ كذلك في النظير القرآني وهو قولُهُ تعالى: (

) [البقرة ١٨].

٩- ربَّما يحتملُ أحدُهم وجهًا فيُخرِّجُهُ على معنًى أو معنيينِ، ويُخرِّجُهُ غيرُهُ على معنًى آخر، فالزجَّاجُ[٩] أجازَ الرفعَ في (الكواكب) من قوله تعالى: (

) [الصافات ٦] وخرَّجَ الرَّفعَ على أن تكونَ (الكواكب) خبرَ (أنَّ) والتقديرُ: بأنَّ زينتها الكواكب، أو على أنَّها نائبُ فاعلٍ على تقدير: بأَنْ زُيِّنَت الكواكب، أمَّا النحَّاسُ[١٠] فخرَّجها في أحدِ وجهين على أنَّها خبرٌ لِمُبتدأٍ محذوفٍ. والتقديرُ: هي الكواكبُ، وهذا ما لم يذكُرْهُ الزجَّاج.

١٠- قد يحتَمِلُ أحدُهم الوجهَ نفسَهُ في الآياتِ النظائر، فقد أجازَ الفرَّاءُ[١١] الرَّفعَ في لفظةِ (المُشركين) في قوله تعالى: (

) [البقرة ١٠٥]، وقولِهِ تعالى: (

) [البيِّنة ١].

١١- قد يحتملونَ وجوهًا اعتمادًا على قواعدِهم التي تتبنَّاها المدرسة النحويَّةُ التي ينتمونَ إليها، فالكسائيُّ[١٢] أجازَ النَّصْبَ في (ثعبان) من قوله تعالى: (

---

(١) معاني القُرآن ١/ ٢١١ .

(٢) يُنظر: مختصر في شواذ القراءات ١٣١ .

(٣) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٨٨ .

(٤) يُنظر: معاني القرآن ٦/ ٧٠ .

(٥) يُنظر: معاني القرآن ١/ ٢١١ .

(٦) يُنظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٦٤، معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٥٨ .

(٧) يُنظر: معاني القرآن ١/ ١٠٠ .

(٨) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٩٤ .

(٩) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٢٩٨ .

(١٠) يُنظر: معاني القرآن ٦/ ١٠ .

(١١) يُنظر: معاني القرآن ١/ ٧٠ .

(١٢) يُنظر: معاني القرآن ١٤٤، ٢٢٣ .

﴿ٱلۡأَعۡرَابُ﴾ [الأعراف ١٠٧]؛ لأنَّ الكوفيِّينَ يُجيزونَ النَّصْبَ بعد (إذا) الفُجائيَّة[١]. وهو إمامُهم في النحو.

١٢- ومن منهجِهم أنَّهم يحتملونَ الوجهَ في كلِّ التراكيب المُتشابهة، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ [آل عمران ١٤٧]، قال الفرَّاء: ((ولو رُفِعَ القولُ وأشباهُهُ وجُعِلَ النَّصْبُ في "أنَّ" كان صوابًا))[٢]، فهو يُجيزُ أن يكونَ المصدرُ المؤوَّلُ خبرَ كان في كلِّ التراكيب المُشابهة للآية.

١٣- قد يحتملونَ الوجهَ في أكثرِ من لفظةٍ في الآية إذا رأوا أنَّ الآيةَ فيها سعةٌ للاحتمال. وهذا ما نجِدُهُ عند الزجَّاج[٣]، حيثُ أجازَ الرَّفعَ فيما بعد (لا) في قوله: ﴿لَا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ﴾ [البقرة ١٩٧] فأجازهُ في ثلاثةِ ألفاظ.

١٤- ومن منهجِهم أنَّهم يحتملونَ الوجهَ النحويَّ اعتمادًا على قراءةٍ قُرآنيَّةٍ سبقتهُ في سياقِ الآيةِ، ففي قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾ [الأنعام ٩٦] أجازَ الأخفشُ[٤]، والزجَّاجُ[٥] الجرَّ في (الشمس والقمر)، بعطفِهما على (الليل) على قراءة[٦] (جاعل الليل)؛ لأنَّ الليلَ على هذه القراءة يكونُ مجرورًا بإضافةِ (جاعل) إليه.

١٥- أحيانًا لا يكتفونَ باحتمالِ الوجه، وإنَّما يُوردونَ الآيةَ أو بعضَها على الصورةِ الجديدة التي احتملوها؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ [البقرة ٢٣٧] فقد قال فيها الأخفشُ: ((وإنْ شِئْتَ نَصَبْتَ: "نصفَ ما فرضتُمْ" على: الأمر))[٧]. وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡ﴾ [البقرة ٢٢٠]، قال الزجَّاج: ((والنَّصْبُ جائزٌ "وإنْ تُخالِطوهُم فإخوانَكم" أي فإخوانَكم تُخالِطُونَ))[٨].

١٦- قد يذكرونَ توجيهَ القراءةِ المشهورةِ، ثمَّ يحتملونَ الوجهَ؛ ليتَّضحَ الفرقُ بين الوجهين، وهذا ما نلمسُهُ عند الزجَّاج في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ [البقرة ١٠١]، فقد أجازَ نصبَ (مُصدِّق) قائلاً: ((("مُصدِّق" رفع صفةً لرسول، لأنَّهما نَكِرتان ولو نُصِبَ كان جائزًا))[٩].

١٧- يحتملونَ الوجهَ بعبارة يجوزُ النَّصْبُ أو الرفعُ مثلاً كما تقدَّمَ سابقًا، وقد يذكرونَ اللفظَ مُباشرةً حاملاً الوجهَ الآخرَ الذي أجازوهُ، ففي قولِهِ تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ [طه ١٣٣]، قال الكسائي: ((ويجوزُ "بيِّنةً"))[١٠]، فبدلُ من أن يقولَ يجوزُ النَّصْبُ، أوردَ اللفظةَ منصوبةً، مسبوقةً بكلمةِ يجوز؛ للدلالة على أنَّهُ وجهٌ مُحتَمَلٌ.

١٨- قد يوردُونَ الوجهَ القِرائيَّ، ويُجِيزونَ فيه وجهًا آخر، ثمَّ يتبيَّنُ أنَّ هذا الوجهَ الذي أجازوه هو النصُّ المُصحفي، فقد أوردَ الأخفشُ[١١] هذه الآيةَ هكذا: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ﴾ [الجاثية ٢١]، ثمَّ أجازَ النَّصْبَ في لفظةِ (سواء) والنصبُ هو قراءةُ

---

(١) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ٢/ ٥٧٦ .

(٢) معاني القرآن ١/ ٢٣٧ .

(٣) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٧٠، ٣٣٥ .

(٤) يُنظر: معاني القرآن ١/ ٩٠ .

(٥) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٢٧٤ .

(٦) يُنظر: السبعة في القراءات ٢٦٣ .

(٧) معاني القرآن ١/ ١٩٠، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣١٩ .

(٨) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٩٤، ٣/ ٢٢٢ .

(٩) معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٨٢ .

(١٠) معاني القرآن ١٩٤، ويُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٤/ ٣٢٦ .

(١١) يُنظر: معاني القرآن ٢/ ٥١٧ .

المُصحَف، أمَّا الرفعُ فهو قراءةٌ قُرآنيَّة[1].وكذلك فعل الزجَّاجُ[2] فقد أوردَ الآيةَ بالصورةِ الآتية: ( ) [الأنفال ١٨]. بنصبِ (كيد)، ثمَّ أجازَ الجرَّ فيه بإضافةِ (موهن) إليه. والجرُّ الذي أجازَهُ هو قراءةُ المُصحَف، أمَّا النَّصْبُ فهو قراءةٌ قُرآنيَّة[3].

١٩- قد يذكرونَ الضابطَ النحويَّ بعدَ أن يُجيزوا بعضَ الأوجهِ، فالفرَّاءُ أجازَ الرفعَ في الفعل المضارع (تكلَّم) في قولـه تعالى: (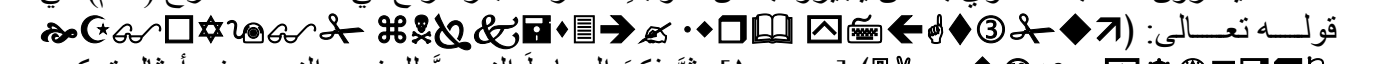) [مريم ١٠]، ثمَّ ذكرَ الضابطَ النحويَّ للرفع، والنصبِ في أمثال تركيب (ألاّ تكلِّمَ) قائلاً: ((وإذا رأيتَ "أن" الخفيفة معها "لا" فامتحنها بالاسم المكنِيِّ مثل الهاء والكاف. فإن صلحَا كان في الفعل الرفع والنصب وإن لم يصلحا لم يَكن في الفعل إلاّ النصب؛ ألا ترى أنه جائز أن تقول: آيَتك أنّك لا تكلّمُ الناسَ))[4].

٢٠- يؤسِّسونَ قواعدَ نحويَّةً؛ نتيجةَ استقرائهم للأوجهِ التي تُجيزُها العربيَّة، فتُصبِحُ قواعد نحويَّةً يُمكِنُ الرجوعُ إليها في تخريجِ كثيرٍ من الوجوه، ونجِدُ ذلك عند الكسائي، إذ أجازَ ((نصبَ "غير" في كلِّ موضعٍ يحسُنُ فيه "إلاّ" في موضعِها تمَّ الكلام أو لم يتمّ))[5].ويقولُ الفرَّاءُ: ((وكلُّ موضعٍ صلُحَتْ "ليس" فيه في موضع "لا" فلك أن ترفعَ الفعلَ الذي بعد "لا" وتنصبه))[6].ويقول الأخفش: ((وقد يجوزُ الرفعُ بعد "إمَّا" في كلِّ شيءٍ يجوزُ فيه الابتداء، لو قلت: مررتُ برجُلٍ إمَّا قاعدٌ وإمَّا قائمٌ، جازَ))[7].

٢١- قد يحتملُ أحدُهُم وجهًا، فيرُدُّهُ آخرُ، وهذا ما فعله الفرَّاءُ، حينما أجازَ الكسائيُّ[8] الجرَّ في (إلهٍ واحد) من قوله قولـه تعالى: (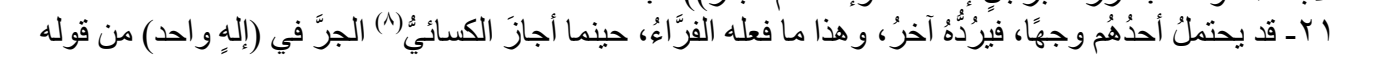) [المائدة ٧٣]، فقد ردَّ الفرَّاءُ هذا الوجهَ، وهو يعلمُ أنَّهُ وجهٌ مُحتَمَلٌ؛ إذ قال: ((لا يكونُ قولُهُ "إلهٌ واحدٌ" إلاّ رفعًا... فرأيتُ الكسائيَّ قد أجازَ خفضَهُ وهو بعد إلاّ، وأنزلَ "إلاّ" مع الجحود بمنزلة غير، وليس ذلك بشيءٍ))[9].

٢٢- يحتملونَ وجهينِ في آيتينِ، ويستَدلُّونَ بإحداهما على الأخرى، فقولُهُ تعالى: (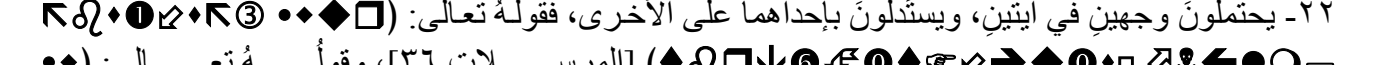) [المرسلات ٣٦]، وقولُهُ تعالى: ( ) [فاطر ٣٦]، قال فيهما الكسائي: ((يجوزُ في كلِّ واحدٍ منهما ما جازَ في صاحبهِ))[10]، فهو يُجيزُ النَّصْبَ في الفعل (يعتذرونَ) استدلالاً بالفعل (يموتوا) وبالعكس.

٢٣- يحتملونَ وجهًا، ثمَّ يذكرونَ بعد ذلك أنَّهُ قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، من ذلك ما ذكرهُ الفرَّاءُ في قوله تعالى: ( ) [الحجر ٣]، فقد أجازَ الرفعَ في الفعل (يأكلوا)

---

(1) يُنظر: السبعة في القراءات ٥٩٥ .

(2) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ٢/ ٤٠٧ .

(3) يُنظر: السبعة في القراءات ٣٠٤– ٣٠٥ .

(4) معاني القرآن ٢/ ١٦٣ .

(5) معاني القرآن ١٤٤ .

(6) معاني القرآن ١/ ٤٤٨ .

(7) معاني القرآن ١/ ٧٥ .

(8) معاني القرآن ١٢٦ .

(9) معاني القرآن ١/ ٣١٧ .

(10) معاني القرآن ٢١٧ .

بقوله: ((ولو كانَ رفعًا لكان صوابًا))(١)، ثمَّ يعودُ فيذكرُ أنَّهُ قراءةٌ قُرآنيَّةٌ؛ قائلاً: ((وفي إحدى القراءتينِ*: "ذرهم يأكلونَ ويتمتَّعونَ ويُلهيهم الأمل"))(٢).

وكذلك فعلَ في قولِهِ تعالى: (✍︎□✍︎ ✉︎☒🔔♌︎♦︎✌︎➔♦︎□☺︎●⑨↘︎ 🕮□🖃♦︎✍︎✍︎ 🕮□■♦︎⑨🖮✌︎♓︎♑︎♊︎❻ ♋︎♊︎⌧🔔♐︎♑︎♐︎☝︎♊︎❻ □◆♐︎●⑨☜♎︎⚐☐ ❻✍︎←□✌︎♦︎ ✂︎✍︎✍︎✎★) [الأحزاب ٤٠]. فأجازَ الرفعَ في (رسول)، ثمَّ ما لبثَ أنْ ذكرَ أنَّهُ قراءةٌ قُرآنيَّةٌ، فقال: ((ولو رفعتَ على: ولكن هُو رسولُ اللهِ كانَ صوابًا وقد قُرِئَ به(٣)))(٤).

٢٤- ومن منهجِهم في مقامِ الاستشهاد لتلكَ الأوجهِ أنَّهم يذكرونَ النَّظيرَ القُرآنيَّ أحيانًا للوجه الذي يُجيزونَهُ، فحينَ أجازَ الزجَّاجُ(٥) نصبَ (غشاوة) في قولِهِ تعالى: (⌘⌧☞♦︎☠︎⌘ ✂︎✍︎✍︎✎✦ ⇖♦︎✍︎■❼🗐 □◆⇖♦︎✍︎■❼🗐 ☎︎ 🔔➔🖬➔□🖃♑︎♋︎♑︎☠︎⇗ ♑︎⌧☺︎⇳➔♐︎♑︎♋︎♑︎☠︎⇗ □◆⇖♦︎✍︎■❼ ✂︎ 🕮□🖃⇗⏲︎✿⏲︎❷⌧♎︎♐︎☠︎⇗ ↘︎♐︎⌖♦︎⏲︎□◆□⋖) [البقرة ٧]، استشهدَ للنصبِ بالنظيرِ القُرآني وهو قولُهُ تعالى: (□◆⌘⌧↓♦︎☹︎♦︎ ⇖♦︎✍︎■❼🗐 ♐︎⌧🖽⇘➔♐︎○♐︎⏲︎ □◆🔔♦︎🖬▫︎🖮♑︎○♐︎⏲︎ □◆♉︎⌧➔⌧•⇖♦︎✍︎■❼🗐 🖃♦︎⇄✿❸♑︎■♋︎⏲︎ ↘︎♐︎⌖♦︎⏲︎□◆□☪︎) [الجاثية ٢٣]، فهي في الآيةِ الأخيرة منصوبة.

٢٥- وقد يذكرونَ النَّظيرَ القرائيَّ. فالفرَّاءُ(٦) يُجيزُ الرفعَ في (فاطر) في قوله تعالى: (🔔➔✍︎⇗ 🕮□✌︎⇨❸↗︎ □◆♎︎♐︎⓿✿✍︎ ▫︎♦︎✍︎☪︎♐︎❷⌧ 🕮□↘︎⌧❷⇗❸◆♦︎ ✂︎✍︎✍︎✎★ ✂︎✍︎✍︎♎︎○○☺︎⌧⏲︎□◆⏲︎☠︎♐︎) [الأنعام ١٤]، ويستشهدُ له بنظيرِهِ القُرآنيِّ: (❻▪︎✇♌︎✐ ✂︎✍︎✍︎♎︎○○☺︎⌧⏲︎□◆⏲︎☠︎♐︎ □◆✍︎ ✂︎✍︎✍︎❀☞❻⇗✔︎⇇) [النبأ ٣٧] برفعِ (ربّ) وهو قراءةٌ قُرآنيَّةٌ(٧).

٢٦- وقد يستشهدونَ بأبياتٍ شعريَّةٍ لما يذهبونَ إليه، ومن ذلك ما أجازَهُ الفرَّاءُ(٨) في قوله تعالى: (🔔♦︎✍︎♎︎↗︎□✂︎☎︎ ••✍︎♦︎②⌧✂︎⇳ ☎︎ ⌘⌧⏲︎⇔☺︎⌧✍︎♌︎✐ 🖃♦︎⇗⌧♐︎🗐 🖃♦︎➔⇗♐︎➔☪︎◆✍︎ ⇖♦︎✍︎■❼🗐 🖃♦︎➔⇗♙🖫) [ص ٢٢]، فقد أجازَ النَّصبَ في (خصمانِ)، واستَشْهَدَ له بقول الشاعر(٩):

وقَالَتْ ألا يَا اسمَعْ نَعِظْكَ بِخُطَّةٍ	فقُلْتُ سميعًا فانطَقي وأصيبي

وأجازَ الأخفشُ(١٠) الجزمَ في الفعلِ (يتوبُ) من قولِهِ تعالى: (□◆③♦︎☞←□✇⮌ ✂︎✍︎✍︎✎✦ ⇖♦︎✍︎■❼🗐 ✌︎♦︎♊︎④□⌖♦︎✍︎✎↗︎↓) [التوبة ١٥]، واستشهدَ له بقول النابغة الذبياني(١١):

فإنْ يَهْلَكْ أبو قابوسَ يَهْلَكْ	ربيعُ الناسِ والشَّهرُ الحرامُ
ونُمسِكُ بعدَهُ بِذُنابِ عيشٍ	أجبِّ الظَّهرِ ليسَ له سِنامُ

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٥٨ .

* لم نجِدْ من ذكر هذه القراءة غير الفرّاء .

(٢) يُنظر: معاني القرآن ١/ ١٥٩ .

(٣) يُنظر: البحر المحيط ٧/ ٢٢٨ .

(٤) يُنظر: معاني القرآن ٢/ ٢٤٤ .

(٥) يُنظر: معاني القرآن وإعرابه ١/ ٨٤ .

(٦) يُنظر: معاني القرآن ١/ ٣٣٨- ٣٣٩ .

(٧) يُنظر: السبعة في القراءات ٦٦٩ .

(٨) يُنظر: معاني القرآن ٢/ ٤٠٢ .

(٩) البيت للنمر بن تولب، ينظر: ديوانه ٤٥ .

(١٠) يُنظر: معاني القرآن ١/ ٦٧ .

(١١) يُنظر: ديوانه ١٠٥- ١٠٦ .

وقد يذكرونَ أمثلةً منهم لما يحتملونهُ من أوجه، ففي قولِهِ تعالى: ( ) [آل عمران ١٦٩]. أجاز الفرَّاءُ النَّصبَ في (أحياء)، ثمَّ مثَّل قائلاً: ((ولو كانَ نصبًا كانَ صوابًا كما تقول: لا تظنُّهُ كاذبًا، بل اظنُنْهُ صادِقًا))[١].

٢٧- ومن الجديرِ بالذكرِ أنَّ هذه الأوجهَ التي يُجيزُونَها يذكرونَ أحيانًا أنَّها جيِّدة، فالأخفشُ حينما أجازَ الجرَّ في (النار) من قولِهِ تعالى: ( ) [الحج ٧٢] قال: ((ولو جُرَّ على البدل كان جيِّدًا))[٢]، ومقصودُهُم أنَّ الوجهَ جيِّدٌ، ولا يعني أنَّهُ أفضلُ من قراءةِ المُصحف.قد يذكرونَ في أحيانٍ أُخَرَ أنَّ هذا الوجهَ ضعيفٌ أو بعيدٌ. مثالُ هذا في قولِهِ تعالى: ( ) [الشعراء ١٩٧]، فقد أجازَ الأخفشُ الرفعَ في (آية)، وضعَّفه بقولِه: ((وقد يجوزُ الرفعُ وهو ضعيف))[٣].وفي قولِهِ تعالى: (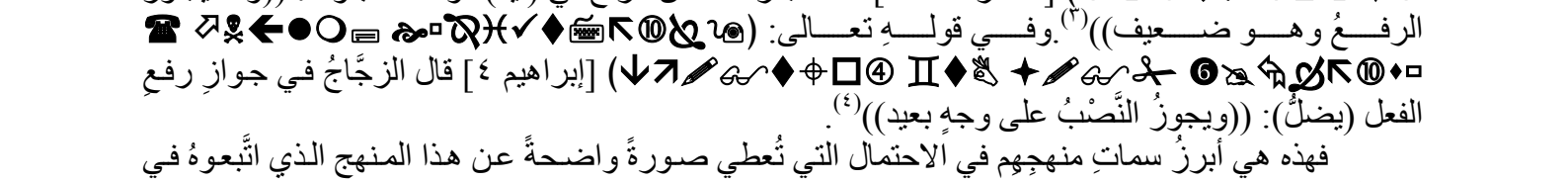) [إبراهيم ٤] قال الزجَّاجُ في جوازِ رفعِ الفعل (يضلُّ): ((ويجوزُ النَّصْبُ على وجهٍ بعيد))[٤].

فهذه هي أبرزُ سماتِ منهجِهِم في الاحتمال التي تُعطي صورةً واضحةً عن هذا المنهج الذي اتَّبعوهُ في احتمال القراءة

روافد البحث:

- أبو زكريَّا الفرَّاء ومذهبه في النحو واللغة، د. أحمد مكِّي الأنصاري، د.ت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيِّين، للشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصريَّة، بيروت- لبنان، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- البحر المحيط، لمحمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيَّان الأندلسي(ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمّد أبي الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت- لبنان، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- تأريخ القراءات القُرآنيَّة، د. عبد الهادي الفضلي، دار القلم، ط١، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- التشريع اللغوي في معاني القرآن للفرّاء، د. رحيم جبر الحسناوي، دار بحار الأنوار، العراق، ٢٠٠٢م.
- الدراسات اللغويَّة عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، د. محمد حسين آل ياسين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- دواعي احتمالية الدلالة النحويَّة في القرآن الكريم، د. شعلان عبد علي سلطان، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بابل، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ديوان النمر بن تولب، جمع وشرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.
- السبعة في القراءات، لابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق: د. شوقي ضيف، دار المعارف- مصر، د.ت.
- الشيخ البلاغي والقراءات القرآنية، بحث للدكتور علاوي سادر جازع الدراجي، منشور في مجلة ن والقلم، العدد ١٩ لعام ٢٠١٠م.
- ظاهرة الافتراض القرآني للقرآن الكريم في ضوء الصنعة النحوية، بحث للدكتور صالح كاظم الجبوري، منشور في مجلة ن والقلم، العدد ١٩ لعام ٢٠١٠م.
- القراءات القرآنية عند الزجّاج، د. گاصد ياسر الزيدي، دار الفرقان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
- القراءات القرآنية في ضوء القياس اللغوي والنحوي، د. حامد عبد المحسن كاظم آل عمشان الجنابي، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- قراءات النحاة الأوائل في الميزان، مصادرها- ملامحها- موقف العلماء منها، د. محمود حسني مغالة، دار المسيرة، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١١م.
- الكافي في القراءات السبع، لأبي عبد الله محمد بن شريح الرعيني الأندلسي (ت ٤٧٦هـ)، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الكتاب، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، د.ت.
- مختصر في شواذ القراءات من كتاب البديع، لابن خالويه(ت ٣٧٠هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة، د.ت.
- معاني القرآن، لأبي زكريَّا يحيى بن زياد الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجَّار، أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب- بيروت، ط٢، ١٩٨٠م.
- معاني القرآن، لعلي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)، أعاد بناءهُ وقدَّم له: د. عيسى شحاتة عيسى، الناشر: دار قباء للطباعة والنشر- القاهرة، ١٩٩٨م.
- معاني القرآن الكريم، للإمام أبي جعفر النحّاس(ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي الصابوني، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري(ت ٣١١هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.
- منجد المُقرئين ومُرشد الطالبين، للإمام العلاّمة محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، اعتنى به علي بن محمد العمران، د.ت.
- مواقف النحاة من القراءات القرآنيَّة حتَّى نهاية القرن الرابع الهجري، د. شعبان صلاح، دار غريب للطباعة والنشر- القاهرة، ٢٠٠٥م.
- النحو وكتب التفسير، د. إبراهيم عبد الله رفيْدَة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ط٣، ١٩٩٠م.
- النشر في القراءات العشر، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على تصحيحه: الأستاذ علي محمّد الضبّاع، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، د.ت.
- الوجوه المحتملة في القراءات القرآنية في كتاب معاني القرآن للفرّاء- دراسة نحويَّة، عدنان يحيى جسّام، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٧١ .

(٢) معاني القرآن ٢/ ٤٥٣، وينظر ١/ ٩٠ .

(٣) معاني القرآن ٢/ ٤٦٢ .

(٤) معاني القرآن وإعرابه ٣/ ١٥٤، ويُنظر: ٣/ ٤٢٧ .